كتاب العقد الفريد للملك السعيد
تأليف أبي سالم محمد بن طلحه
الوزير تغمده الله بغفرانه
وأسكنه بحبوحة
جنانه آمين
آمين

قال في كشف الظنون

(العقد الفريد للملك السعيد) لابي سالم محمد بن طلحة القرشي النصيبي الوزير المتوفى سنة ٦٥٢ اثنتين وخمسين وستمائة أوله الحمد لله حامي حوزة بلاده بملوك الخ جعله على أربعة قواعد (الاولى) في مهمات الاخلاق والصفات (الثانية) في السلطنة والولايات (الثالثة) في الشرائع والديانات (الرابعة) في تكميل المطلوب بأنواع من الزيادات

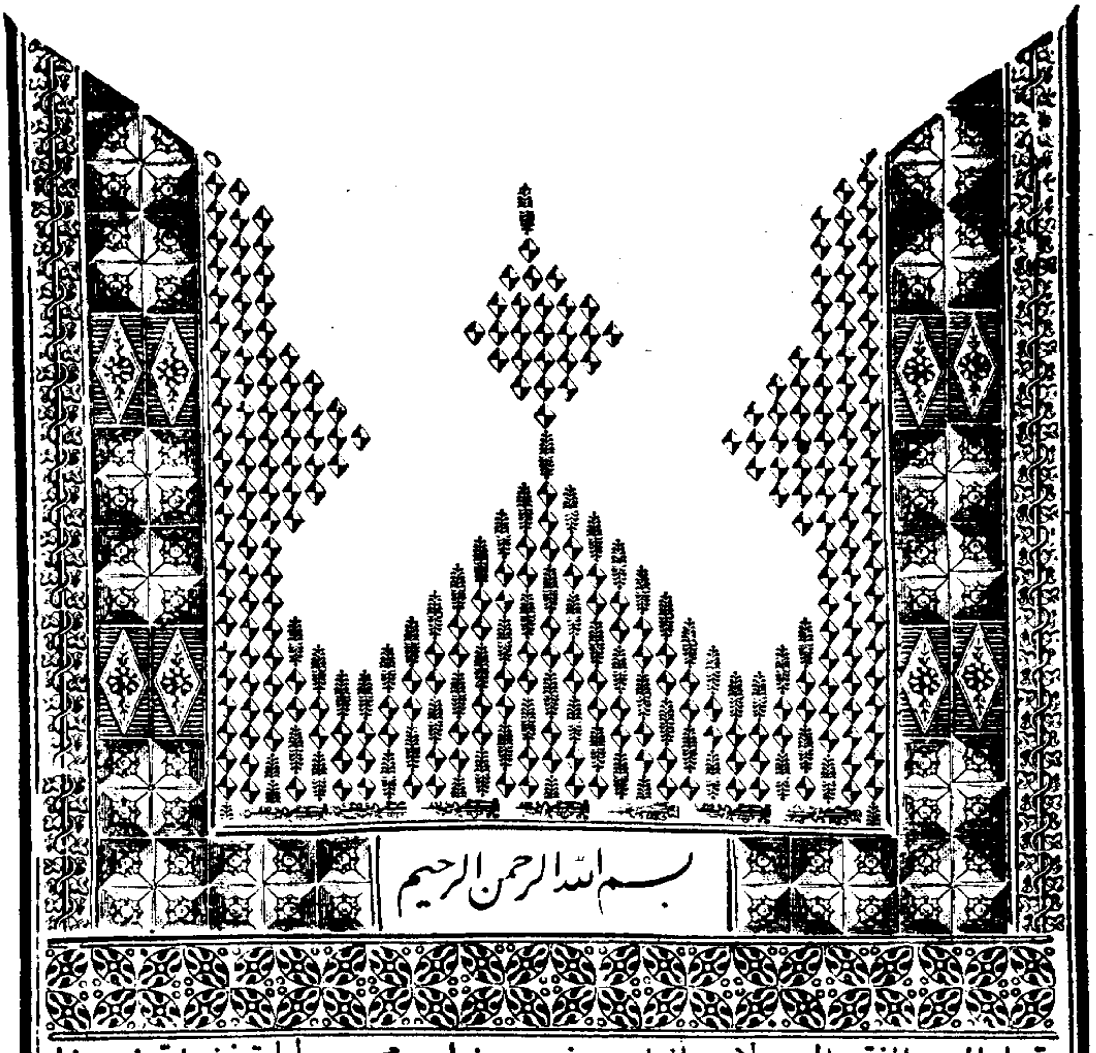
بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير الى مولاه الراجي عفوه ورضاه محمد بن طلحة غفر الله له وعفا عنه * الحمد لله حامي حوزة بلاده بملوك اجتباهم لحراسة عباده وحباهم من ألطاف امداده بلطائف ارفاده وصلواته على رسوله محمد المصطفى الذي جاهد في الله حق جهاده حتى ثقف من الاسلام أود مناده صلاة ينجو بها قائلها من عناده ويكثرها على تعاقب أحقاب الزمان وآباده (وبعد) فان القلم اذا جرى في القدم بتأييد الله واسعاده من اختصه من ملوك الدنيا بتوفيقه وارشاده ألهمه اكتساب السجايا الحميدة فوري في اقتباسها قدح زناده وأكرمه بالمزايا الشريفة فأجناه من غراس سعيه ثمار مراده وأيقظ طرف عزمه في مكارم الاخلاق فتنبه من وسن رقاده وركض طرف فهمه في مضمار الوقائع فأدرك غامضها بجرى جواده حتى يرى ان استعباده رقاب الاحرار باسداء طارف احسانه وتلاده واستنفاده في احياء سنة العدل واماتة سنة الظلم غاية جهده ونهاية اجتهاده أنفع ذخائره التي يعتدها من عتاده لمعاده فلاجرم يمنحه كل ذي فضل ونهى ثناء لسانه وشكر فؤاده ويمحضه كل ذي زهد وتقى بقسط من صالح دعائه

قوله منآد على وزن منقاد بمعنى المنحنى والمعوج ومصدره الانئياد كالانقياد انتهى صحاح وهي

فى وظائف أوراده كالمقام الكريم العالى المولوى السلطانى الملكى السعيدى النجمى أفاض الله عليه من لباس التأييد مفوّف أبراده وراض جوامح الاقدار لطاعته لتكون من أعوانه وأجناده وجعل طلى اضداده وكلى حساده يوم جلاده أغماد الحداده فانه لما تولاه الله بعين عنايته فى اصداره وايراده وحباه من خفىّ ألطافه بشرف نفس شفع به شرف ميلاده وآتاه زمام ذلك كله فأذعن له الاقبال باصحابه وانقياده (شعر)

ودرّت له أخلاف كل سحيبة * غماها الى العلياء طول نجاده

وحاز رهان السبق فى حلبة العلى * بذى شرف من صافنات جياده

وانضاف الى ذلك أن عمرنى فى الايام السالفة من صيب احسانه بمدراره ومنحنى من سيب عطائه بتياره وأنزلنى من قلبه الشريف على تعهد عهدى بمقامه الكريم المنيف منزلة فرضت علىّ ترتيل حمده بتلاوته وتكراره فالانسان ان لم يقم بشكر المحسن اليه فانه لكنود وانه ان جنح الى الانكار والجحود فهو من آثار المبارّ التى شملته بين شاهد ومشهود فرأيت اننى لا أقوم فى هذا المقصد المطلوب والمطلب المقصود بشكر سيل احسانه السابغ البرود وحمد منهل انعامه الشائع البرود الا بتأليف كتاب تكون جواهر معرفته أزين لعارفه من حلى العقود ويزداد العالم به مهابة وجلالا لاسيما يوم حضور الجمع ووفود الوفود ويطلع بمطالعته على قيم الحاضرين بين يديه فى كل صدور وورود ويكون على الحقيقة خلاصة الصفات البشريه وزبدة الاخلاق الانسانية التى عليها مدار قطب شرف السجايا وبها تدرّ اخلاف كرم المزايا وهى شجرة مثمرة لابانة الاخلاق التى بها سعد الغارسون وفى مثلها فليتنافس المتنافسون فأخذت فى تأليفه وشرعت فى تصنيفه قضاء لما أسداه من احسانه السالف وقياما بحقه الذى يقصر عن حقه فصاحة لسان الواصف وأنا أرجو من الله تعالى أن يجعله كتابا تقرّ بمطالعته العيون وتصدق فى انتاجه الظنون فانه فى جمع فرائد الفوائد ونوادر المقاصد كالفلك المشحون كما قرأ منه مطالعه شيئا دفعه الى حديث ذى شجون وحيث صنفته برسمه ووسمته باسمه سمته *(بالعقد الفريد * للملك السعيد)* وجعلته مشتملا على مقدّمة وقواعد * أمّا المقدّمة فهى الغرض المطلوب من هذا الكتاب والحكمة المقصودة من مطالعته والحث على ادمان قراءته وملازمة النظر فيه وفى أمثاله *

فأقول والله الموفق * قد ترشح في أذهان أهل الدراية والعرفان وثبت عند ذوى العقول بالدليل والبرهان ان الانسان وان كان نوعا من الحيوان فهو العالم الاصغر فان الله تعالى خلقه وركب فيه من القوى المختلفة والاخلاق المتناسبة والشهوات الغالبة مايقتضي خروجه في اكثر الاوقات عن الدوام على حالة واحدة فهو ان رأى تمكنه واستغناءه ظهرت عليه دلائل الطغيان ومخائل التجبر ودليله من القرآن الكريم قوله تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وان رأى عجزه واحتياجه ظهرت عليه دلائل الضعف والاستكانة ودليله من التنزيل قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وان رأى كمال يقظته ورزانة عقله ومواقع تدبيره خدعته نفسه ولربما أوقعته أفكاره في الوساوس والتقديرات وألقته ريح وهمه في أودية الخيالات لاستعمال المخادعات ودليله من التنزيل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه وان رأى عجزه عن تكميل مطلوبه وخوفه من فوات مأموله ظهرت عليه مخائل التفتيش فأسرعت به الى التلبس بالامور قبل وقت تمامها وحملته الى مباشرة الاشياء قبل ابرامها ودليله من التنزيل قوله تعالى خلق الانسان من عجل * وباعتبار هذه الاسباب والقوى حصل فيه التضاد فتارة يكون مسرورا وتارة محزونا وتارة منبسطا وتارة منقبضا وتارة راضيا وتارة ساخطا وتارة شجاعا وتارة جبانا وتارة جوادا وتارة بخيلا وتارة قويا وتارة ضعيفا وتارة مطيعا وتارة عاصيا وتارة مستيقظا وتارة غافلا وتارة ذاكرا وتارة ناسيا وتارة متجاوزا وتارة منتقما فما من صفة من هذه الصفات وحالة من هذه الحالات الا والانسان متعرض لها ولنقيضها وقد أشار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بعض كلامه الى كشف الغطاء عما عليه الانسان من اختلاف حالاته وتضاد صفاته على الوجه الذي شرحناه والتقسيم الذي أوضحناه فقال عليه السلام * أعجب ما في الانسان قلبه له مواد من الحكمة وأضداد من خلافها ان سنح له الرجاء أذله الطمع وان هاج به الغضب اشتد به الغيظ وان أسعف بالرضا نسي التحفظ وان ناله الخوف فحمه الجزع وان استفاد مالا أطغاه الغنى وان غضته فاقة شغله الفقر وان جهده الجوع أقعده الضعف وان أفرط في الشبع كظته البطنة وكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد * فقد وضح بما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الكلمات التي هي

جواهر الكلام وغرر الحكم صحة ماذكرناه من استعداد النفس البشرية لانواع الاخلاق والشيم وقد جعل الله سبحانه لكل صفة منها سببا يحدثها وموجبا يقتضيها وهى تنقسم الى صفات حسنة مرغوب فيها كالسرور والانبساط والرضا والشجاعة والجود والقوة والاحسان والطاعة والتيقظ وغير ذلك من الصفات الحميدة والاخلاق المرضية والى صفات مذمومة وحالات قبيحة تنفر النفس المطمئنة عن التحلى بشئ منها كالحزن والانقباض والسخط والجبن والبخل والضعف والاساءة والمعصية والغفلة وغير ذلك من الصفات المذمومة والاخلاق الرديئة فلاجرم من أراد أن يحصل له شئ من الحالات المرغوب فيها والصفات الممدوح صاحبها سعى فى تحصيل السبب المقتضى لذلك ومن أراد ازالة شئ من الحالات المذمومة والصفات القبيحة سعى فى ازالة سببه أو فى تحصيل سبب يقتضيه فانه اذا حصلت له الصفة الحميدة زالت عنه الصفة القبيحة المناقضة لها ولا يمكن ذلك الا بعد معرفة الاسباب فلاجرم كانت مطالعة هذا الكتاب المشتمل على معرفة هذه الاسباب وملازمة قراءته تؤدى الى تحصيل المرغوب ودفع المرهوب فحينئذ يتصور فى النفس صورة ذلك السبب المقتضى للحالة المحمودة المرغوب فيها فيتسم بها وصورة ذلك السبب الموجب للحالة المذمومة المرهوب عنها فيبعد منها ويحصل له من معرفة الاسباب وتفاصيل لوازمها علم يستحضر به أجوبة ما يسأل عنه وما يجرى بين يديه من أنواع المخاطبات وأصناف المحاضرات اذ كم من ملك يختلف لديه عظائم الامور ويتعارض بين يديه أسباب الحزن والسرور ويرد عليه رسل ملوك الاطراف بمختار ومحذور فيحتاج فى ذلك الى رد وقبول وعلو ونزول واشراق وأفول واسعاف بمأمول وايصال لمقطوع وقطع لموصول بحسب ما تقتضيه مصلحة المملكة التى لا يجوز عنها صدوف ولا عدول فاذا عرف أصول قواعد الاسباب ومحصول عقائد ذوى الالباب وضح له على الحقيقة صواب الجواب وأتى بالغرض المطلوب فى هذا الباب ونطق بما يشهد له بأن الله تعالى قد آتاه الحكمة وفصل الخطاب فمن طالع ما قد اشتمل عليه هذا المصنف من المقاصد وأدمن الفكر فيما يتضمنه من الحكم الشوارد وحلى جيد فكره بجواهر ما فيه من فرائد القلائد وبنى عقيدته وعبادته على ما فيه من قواعد العقائد واقتفى سيرة من عرض بذكره من العظماء الاماثل والملوك الاماجد

حصل لنفسه زيادة شرف توجب تعظيمه ونبله واستفاد به نباهة تشفع فى افتراع ذرى الفخار أصله وتزكى فعله ويحقق بذلك أنه قد رزق فضل عناية من الله سبحانه فانه يؤتى كل ذى فضل فضله *وحيث انتهى القول فى المقدمة الى هذا المقام فلنشرع الآن فى بسط الكلام وشرح القواعد المشتملة على اتمام المرام فنقول مقصودما أومت الاشارة اليه وثمرة ماوقع التنبيه عليه يحصل بأربع قواعد كل قاعدة منها تشتمل على جواهر اذا نظمت فى عقود الاجياد ظهر حسن وجهها الوسيم ورجح وزنها فى نظر الخبير العليم وشهدت للمتحلى بها انه لعلى خلق عظيم

(وهذا تفصيلها)

(القاعدة الاولى) فى مهمات الاخلاق والصفات *(القاعدة الثانية)* فى السلطنة والولايات *(القاعدة الثالثة)* فى الشرائع والديانات *(القاعدة الرابعة)* فى تكملة المطلوب بأنواع من الزيادات

(القاعدة الاولى فى مهمات الاخلاق والصفات وهى تشتمل على عشرة أبواب)

*(الباب الاول فى العقل ومايبنى عليه من عقيدة التوحيد الواجبة وفرائض العبادات اللازمة

*(الباب الثانى فى مدح الصبر والتثبت وذم الجزع والتسرع

*(الباب الثالث فى صفة الشكر ومدحه وذم الكفران وقبحه

*(الباب الرابع فى المشورة وبركتها وذم تركها ومجانبتها

*(الباب الخامس فى العدل والانصاف وذم الظلم والاجحاف

*(الباب السادس فى الاتفاق والائتلاف وذم الشقاق والخلاف

*(الباب السابع فى الوفاء وذم الغدر

*(الباب الثامن فى التيقظ وانتهاز الفرصة وذم التوانى والغفلة

*(الباب التاسع فى العفو واصطناع المعروف واغاثة الملهوف

*(الباب العاشر فى الصدق وذم الكذب

اعلم بدأنا أولا بذكر العقل اذ به يقع الوصول الى معرفة الاشياء وعليه مدار التكليف الذى جاءت به شرائع الانبياء وهو شرط فى ترتب الثواب والعقاب على الاعمال يوم الجزاء ولولا العقل وفضيلته لعم الحكم بالاستواء بين ذوى الدراية والاغبياء فأقول والله الموفق لما يرضاه واياه أسأل الاعانة على ما أقصد وأتوخاه

(الباب الاوّل فى العقل)

وماقص الله فى محكم كتابه ومنزل خطابه وقد ضرب الامثال وأوضحها و بين بدائع مصنوعاته وشرحها فقال وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره انّ فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ونقل عن النبيّ صلى الله عليه وسلم انه قال أوّل ماخلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال عزمن قائل وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا أعزّ علىّ منك بك آخذ وبك أعطى وبك أحاسب وبك أعاقب واعلم انّ العقل ينقسم الى قسمين قسم لا يقبل الزيادة والنقصان وقسم يقبلهما فأما الاوّل فهو العقل الغريزى المشترك بين العقلاء وهو قوّة غريزية يتأتى بها درك المعقولات وهذا القسم هو الذى به يناط تكليف الاحكام ويجرى القلم على صاحبه عند حصوله اما بالسنّ أو بالاحتلام وأما الثانى فهو العقل التجريبى وهو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع وباعتبار هذه الحالة يقال انّ الشيخ أكمل عقلا وأتمّ درايةوانّ صاحب التجارب أكثر فهما وأرجح معرفة ولهذا قيل من بيضت الحوادث سواد لمته وأخلقت التجارب لباس جدّته وأرضعه الدهر من وقائع الايام أخلاف درّته وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف أقداره وأقضيته كان جديرا برزانة العقل ورجاحته فهو فى قومه بمنزلة النبيّ فى أمّته وقد يختص الله سبحانه بالطافه الخفية من يشاء من عباده فيفيض عليه من خزائن مواهبه رزانة عقل وزيادة معرفة تخرج عن حدّ الاكتساب يصير بها راجحا على ذوى التجارب والآداب ويدل على ذلك قضية يحيى بن زكريا عليهما السلام فيما أخبر الله تعالى به فى محكم كتابه العزيز حيث يقول وآتيناه الحكم صبيا فمن سبقت له من الله سبحانه سابقة فى قسم السعادة وأدركته عناية أزلية لحظته بعين الرعاية أشرقت على باطنه أنوار ملكوتيه وهداية ربانيه فاتصف بالذكاء والفطنة قلبه وأسفر عن وجه الاصابة ظنه وتشابه من فرط ادراكه حدسه وعلمه وأدركت خفايا الامور فكرته ولا تكاد تخطئ الا أن يشاء الله فراسته وان كان حديث السنّ قليل التجربة كما نقل فى قضية سليمان وهو صبى حيث ردّ حكم داود عليهما السلام فى أمر الغنم والحرث *وشرح ذلك فيما نقله المفسرون انّ رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال أحدهما انّ هذا دخلت غنمه فى الليل الى حرثى

مطلب

فأهلكته وأكلته ولم تبق لى فيه شيئا فقال داود فى الحكم بينهما الغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه فلما خرجا من عنده مرا على سليمان عليه السلام وكان عمره ذلك الوقت على ما نقله بعض أئمة التفسير احدى عشرة سنة فقال ما حكم بينكما الملك فذكر له ذلك فقال غير هذا أرفق بالفريقين فعادا الى داود وقالا له ما قال ولده سليمان فدعاه داود وقال ما هو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الاغنام الى صاحب الحرث وكان الحرث كرما قد تدلت عناقيده وغمت قضبانه فى قول أكثر المفسرين فيأخذ صاحب الكرم الاغنام يأكل من لبنها وينتفع بدرها ونسلها ويسلم الكرم اليه ليقوم به فاذا عاد الكرم الى هيئته وصورته التى كانت ليلة دخلت الغنم اليه سلم صاحب الكرم الغنم الى صاحبها وتسلم كرمه كما كان بعناقيده وصورته التى كانت عليه فقال له داود القضاء كما قلت وحكم به على ما قال سليمان وفى هذه القضية نزل قول الله تعالى فى محكم التنزيل وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فهذه المعرفة والدراية لم تحصل لسليمان بكثرة التجربة وطول المدة بل حصلت بعناية ربانية وألطاف الهية واذا قذف الله تعالى شيئا من أنواره وأودعه فى قلب من يشاء من خلقه اهتدى الى مواقع الصواب ورجح على ذوى التجارب فى كثير من الاسباب ويستدل على حصول كمال العقل فى الرجل بما يؤخذ منه وما يصدر عنه فان العقل معنى لا يمكن مشاهدته فان المشاهدة من خصائص الاجسام ومما لا ينفك عنها بل يعرف بآثاره وأحكامه فأقول يستدل على عقل الرجل بأمور متعددة (منها) ميله الى محاسن الاخلاق واعراضه عن رذائل الاعمال ورغبته فى ابتداء صنائع المعروف وتجنبه عما يكسب عارا ويورثه شنارا وقد قيل لبعض الحكماء بم يعرف عقل الرجل فقال بقلة سقطه فى كلامه وكثرة اصابته فيه فقيل فان كان غائبا فقال بأحد ثلاثة أسباب اما برسوله واما بكتابه واما بهديته فأما رسوله فقائم مقام نفسه وكتابه يصف نطق لسانه وهديته على قدره فبقدر ما يكون فيها من نقص يحكم به على صاحبه وقيل من أكبر الاشياء شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس ويكفى أن حسن المداراة يشهد لصاحبه بتوفيق الله تعالى اياه فانه قد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق ولا يكفى فى الدلالة على كمال عقل الرجل

الاغترار بحسن ملبسه وملاحة سمته وتسريح لحيته وكثرة صلفه وتظافة بزته اذ كم من كيف مبيض وبعر مفضض وقد قال الاصمعي رأيت بالبصرة شيخا له منظر حسن وعليه ثياب فاخرة وحوله حاشية وهو يج وعنده دخل وخرج فأردت ان أختبر عقله فسلمت عليه وقلت ما كنية سيدنا فقال أبو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الاصمعي فضحكت منه وعلمت قلة عقله وكثرة جهله ولم يدفع ذلك غزارة خرجه ودخله وقد يكون الرجل موسوما بالعقل مرموقا بعين الفضل فتصدر منه حالة تكشف حقيقة حاله وتشهد عليه بقلة عقله واختلاله ويتحيل في دعواه العقل بتمويهه ومحاله كما ذكر أبو علي القاضي التنوخي عن عضد الدولة بن بويه انه كان قدم في دولته أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف واعتقد في كمال عقله ورزانة نبله ورجحان فضله فناط به أزمة عقده وحله واعتمد اليه في أمر ملكه كله وكان نفاق الحاشية يغطي عواره ويستره وألسن الخدم والاتباع لعضد الدولة تمدحه وتشكره وجماعة من عظماء الدولة تعرض عنه فلا تذكره وهو يتجح بدعوى العقل وهو أجهل من باقل ويتحلى بحسن التدبير وهو بعيد عن المعرفة عاطل ويظهر الاستطالة على فضلاء الاماثل وهو خال عن الفضائل واستمر ذلك برهة من الدهر الى ان أناخ القدر المحتوم والقضاء المعلوم أن سافر عضد الدولة من العراق الى همذان فتبعه أبو محمد الخرنباذي يطلب خدمته وكان ذا دراية وفضل وعقل ورزانة ونبل فلما رآه أبو القاسم قد خرج في جملة الجماعة خشي من تقدمه عند عضد الدولة فيفتضح مستوره وتقبح أموره فحسن لعضد الدولة رده من الطريق وابعاده عن الصحبة وأن يجري عليه شيء من الرزق بالبصرة ويقيم بها قال أبو علي ابن القاضي كنت بين يدي عضد الدولة وقد قال لابي بكر بن شاهويه وهو من أصحاب أبي القاسم عبد العزيز تمضي الى أبي محمد الخرنباذي وتقول له تمضي الى البصرة ونحن نجري لك معيشة ترتزق منها فقد طال تبعك لنا وتعبك معنا وقد تبرمنا منك وليس في حضرتنا ما تحبه والسلامة لك في بعدك عنا وصاحبنا أبو القاسم عبد العزيز قد استصحب جماعة كثيرة في بعضهم غنية عن أمثالك فانصرف عنا واكتف بما رتبته لك ان شاء الله تعالى ثم ان عضد الدولة سير من خاصته شخصا مع أبي بكر ليشهد ما يقوله وليسمع ما يجاوبه به أبو محمد بحيث لا يكتم أبو بكر شيئا من الجواب لكونه من أصحاب أبي القاسم فلما حضرا عند أبي محمد

حكاية

قال له أبو بكر صورة ماقاله عضد الدولة جميعه فقال أبو محمد لما سمع ذلك الامر للملك ولا خلاف له السمع والطاعة لتقدمه ولعمري ان الناس بجدودهم ينالون و بحظوظهم يستديمون ولو أنني تقدمت عند الملك ونفقت لديه ما كان عجبا فقد نال منه وتقدم عنده من أنا أرجح منه ولكن المقادير غالبة وليس للانسان عنها متقدم ولا متأخر وقد قيل من غالب الاقدار غلب ولكن أيها الشيخ لي حاجة أحب أن تبلغها الملك عني وهي كلمة فيها نصيحة وشفاء لما في الصدور فقال أبو بكر قل فاني أبلغها الملك فقال تقول له أنا صائر الى ما أمرت ومتوجه الى البصرة لامتثال مارسمت ولكن بعد أن تقضي وطرا في نفسي وفيه شهرة لعظمتك وتنبيه على انك لا تنخدع في ملكك ولا يلتبس لديك محق بمبطل وعاقل بجاهل ومسيء بمحسن و يقظان بغافل وجواد ببا خل وهو أن يتقدم فيقام عبد العزيز المكنى بأبي القاسم بين اثنين على رؤوس الاشهاد وتنتقم منه انتقاما بالغا و يقال له اذ الم تبذل جاهك للملتهف ولم يكن عندك بر لضعيف ولا فرج لمكروب ولا عطاء لسائل ولا جائزة لشاعر ولا مرعى لمنتجع ولا مأوى لضيف ولا ذب عن عرض مخدوم ولا استجلاب ثمار الالسنة بالادعية والمحامد لدولة أوجدتك ولا لك من العقل ماتميز به بين مايكسب حمدا أو ذما فلم ألزمت نفسك أن يخاطبوك بسيدنا وتمديدك ليقبلها الداخلون و يقوم لك عظماء المملكة عند طلوعك عليهم ثم ان أبا محمد قام وركب وعاد قال أبو بكر بن شاهو به فعدت وقد سبقني الذي كان معي مشرفا وذكر ذلك للملك عضد الدولة فلما حضرت عنده وأبو القاسم بين يديه سكت فقال لي هات الجواب الذي ذكره أبو محمد فاستحييت من أبي القاسم ان أذكره فقلت سمعه الملك من المشرف الذي أنفذه معي قال قل فأنت كنت الرسول فاذكر الحديث على صورته كله فوالله ان تركت منه حرفا لم تلق خيرا فما أمكنني الا أني سردت كلام أبي محمد كما قاله ولم أترك منه شيئا وأبو القاسم يتقدد في اهابه و يتمزق في جلده ويتغير وجهه و يتلون ألوانا عند كل كلمة منه فأقبل عليه عضد الدولة فقال كيف ترى ياعبد العزيز لا جزاك الله خيرا الآن علمت انك لا تعتمد حالة ترضي الله تعالى ولا تبتني مكرمة ولا تحفظ مروءة ولا تحرس أمانة ولا يخرج فكرك عنك ولا همتك الا في مال تجتذبه واقطاع لنفسك تثمره وتجعلني بابا من باب معاشك وجهة من جهات أرباحك تبعد من ينفعني وتقرب

من ينفعك فذمتك معروفة وسيرتك معلومة وكنت أسمع من جزلك النار الى قرصك وشرهك فى جميع أحوالك وأذالك لمن يقصد أبوابنا ولكن لكل أجل كتاب ثم أمر به فأخذ فظهرت بسوء فعله قلة عقله وبقبح قصده ضعف رأيه *وفى امثال هذه من الوقائع الشاهدة لاربابها باختلال الدراية وقلة العقل كثرة وانما خوف الاكثار أوجب الاقتصار على هذا المقدار وما أحسن جواب بزرجمهر وقد سأله أنوشروان فقال ما خير ما أعطى الرجل فقال العقل فقال فان لم يكن قال أخ شفيق يستشيره قال فان لم يكن قال صمت طويل يستره قال فان لم يكن قال خلق حسن يعاشر به الناس قال فان لم يكن قال منية عاجلة تريحه وتريح منه وقال أبو الرشيد الرازى دخلت بغداد ولم أعرف بها أحدا ولم أعلم ما أعمل فى أمرى فرأيت شيخا عليه أثر الديانة وزى الصلاح فسلمت عليه وقلت له ياسيدى أنا رجل غريب وقد وصلت الآن الى هذه البلدة ولا أعرف فيها أحدا وقد ضاق صدرى اذ لم أجد بها معرفة من بلدى يهديني الى سلوك طريق الارتفاق فلما سمع كلامى لم يزدنى على ان أنشدنى هذين البيتين شعر

اذا كنت ذا عقل فلا تخش غربة * فما عاقل فى بلدة بغريب
يعد رفيع القوم من كان عاقلا * وان لم يكن فى أهله بحسيب

ثم تركنى ومضى فلما سمعت ذلك منه علمت ان العقل هادم رشد ومشير مسعد فاهتديت بنوره الوقاد فرزقنى الله كل مرام ومراد وقد وقعت من المتقدمين نوادر هداهم الله اليها بنور العقل وأهداها الينا أئمة النقل تشهد لمن صدرت عنه بالرأى الجزل وترشد سامعها الى معرفة رد الفرع الى الاصل *منها ان كسرى كان من عقلاء ملوك الفرس وأثبتهم جنانا وأبسطهم قدرة وامكانا فرأى فى منامه رؤيا أحدثت عنده ضيق صدره واضطراب فكره فاستحضر من بلاده الى حضرته علماء عصره وقصها عليهم ليكون على بينة من أمره فاتفقت كلمتهم واتحدت اشارتهم ولم يقع عندهم خلف ولا شك فيما أدت اليه معرفتهم فقالوا له أيها الملك ان هذه الرؤيا تدل على ان ولدك شيرويه لابد أن يقتل أباه ويجلس على سرير ملكه ويتصرف فى الخزائن والملك يسمع هذا القول ولا يشيعه ويكتمه عن كل أحد ولا يذيعه فانه لابد أن يقع هذا جميعه ثم تفرقوا فاعتمد كسرى حالة أداه اليها عقله واستخرجها فكره فان لم تصح رؤياه وكان المنام أضغاث أحلام

فما يضره فعلها وان صح منامه يقتص من قاتله بها فأخذ سما قاتلا لساعته وخلطه بمجون ووضعه فى قارورة وختمها وكتب عليها بخطه دواء للجماع من تناول منه وزن درهم جامع مهما شاء من غير ضرر ووضع تلك القارورة فى خزانته تحت ختمه بحيث لم يعلم بذلك أحد من الناس قاطبة فما مضت أيام حتى قتله ولده شيرويه وجلس على سرير ملكه ثم أخذ يعتبر الخزائن فلما وقف على تلك القارورة وقرأ ما عليها فرح فرحا عظيما وقال هذا المجون كان أبى يستعين به على جماع شيرين وأخذ من المجون وزن درهم فمات من ساعته وعدت هذه الحالة من كمال عقل كسرى وحسن فكره وكان كسرى يقدم يونان الوزير على جميع وزرائه وأصحابه ويعظم أموره ولا يعتمد مع بقية الوزراء مثل ما يعتمده معه فقالوا له ما السبب فى ان الملك يرجح علينا يونان ويقدمه فقال لهم ما معناه ان من خصه الله بكمال عقله وزيادة معرفته يقدم على نظرائه وأبناء جنسه وهذا يونان لما أفضت الى نوبة الملك تشاغلت أياما بالصيد فكتب الى يعلم الملك ان خمسة أشياء ضائعة المطر فى الارض السبخة والسراج المشتعل فى ضوء الشمس والمرأة الحسنة الصورة عند الرجل الاعمى والطعام الطيب عند المريض والرجل العاقل عند من لا يعرف قدره فعلمت ان قصده بهذه الحكمة أن يوقظنى لتدبير المملكة فلما دخلت من الصيد أحضرته وقلت له صف لى ملوك الدنيا وسيرتهم فى رعاياهم لاختار ما أعمل به منها فقال الملوك ثلاثة واحد ينتصف لرعيته من نفسه ويتجاوز عنهم فلا ينتصف منهم لنفسه فذاك أعلاهم درجة وأقومهم سيرة وأكملهم عقلا وأدومهم ملكا وأطوعهم رعية وأعمرهم بلادا وأملكهم لقلوب رعاياه وواحد ينتصف لهم من نفسه وينتصف منهم له فهو أوسطهم درجة فانه عمل بالعدل ولم يصل الى درجة الفضل وواحد ينتصف منهم لنفسه ولا ينتصف لهم من نفسه فهو أنزل درجة وأقبح سيرة وأخرب بلادا لاتقر قلوب رعاياه من الاضطراب ولا ألسنتهم من التضرع الى قيم العالم فى ازالة ملكه وتعجيل هلكه فهذه أحوال الملوك وسيرتهم فى رعاياهم فانظر أيها الملك الى هذه الثلاثة فاختر لنفسك ما أردت منها وأنا أعلم ان الملك لا يختار لنفسه الا سيرة الاول لان نفس الملك شريفة وهمته عالية فهو يرغب فى ارتقاء أعلى درجات الملوك ويميل الى اقتناء حميد الذكر وجميل السيرة ويؤثر عمارة نواحى بلاده وأقطار مملكته ويحب ما ينمى به مواد أمواله

وجهات

وجهات أعماله و يود أن يتملك أحرار القلوب وتخلد بعده سيرة تضرب بحسنها
الامثال فلما سمعت كلامه علمت انه رزق عقلا وفضلا فعملت بقوله واهتديت
بحكمه ولم أجد عند غيره ماوجدته عنده فلذلك خصصته بالتقديم وأنزلته منزلته
التي يستحقها * وقال تميم بن عدى البربوعي كنت مع عبد الله بن العباس عند حكاية بديعة
منصرفه من دمشق فسألته في بعض الايام وقلت له بماذا يتم عقل الرجل فقال
اذا صنع المعروف مبتدئا به وجاد بماهو محتاج اليه وتجاوز عن الزلة وجازى على
المكرمة وتجنب مواطن الاعتذار فقد تم عقله فحفظت ذلك منه وألصقته بقلبي
ثم بعد أيام نزلنا منزلا فطلبنا طعاما فلم نجده ولا قدرنا عليه فانتزيادا كان قد نزل
بذلك المنزل قبلنا بأيام قليلة في جمع كثير فأتوا على ما كان فيه من الطعام فقال
عبد الله لوكيله اخرج الى هذه البرية فلعلك تجد بها راعيا معه طعام فمضى الوكيل
ومعه غلمان فأطالوا التوقف فلما كادوا يرجعون لاح لهم خباء فأتوه فوجدوا
فيه عجوزا فقالوا لها هل عندك طعام نبتاعه منك فقالت أما طعام بيع فلا ولكن
عندى أكلة لى و باولادى اليها أمس حاجة قالوا وأين أولادك قالت في رعيهم
وهذا وقت عودهم قالوا فما أعددت لهم قالت خبزة هي تحت ملتها أنتظر بها أن
يجيئوا قالوا لها فجودى لنا بنصفها قالت لا ولكن بكلها قالوا ولم منعت النصف
وجدت بالكل ولا خبز عندك غيرها قالت ان اعطاء الشطر من خبزة نقيصة
واعطاء الكل فضيلة فأنا أمنع ما ينقصني وأجود بما يرفعني فأخذوا الخبزة لفرط
حاجتهم اليها فلما أتوا عبد الله أخبروه خبر العجوز قال ارجعوا اليها فاحملوها
في دعة وأحضروها فرجعوا اليها وقالوا لها ان صاحبنا أحب أن يراك قالت ومن
هو صاحبكم قالوا عبد الله بن العباس قالت ما أعرف هذا الاسم قالوا العباس بن
عبد المطلب وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم قالت والله هذا الشرف العالي
قومي أنصاره قالوا نعم قالت فما يريد مني قالوا يريد أن يكافئك على ما كان منك
قالت لقد أفسد الهاشمي ما أثل له ابن عمه عليه السلام والله لو كان ما فعلت معروفا
لما أخذت عليه ثوابا وانما هو شئ يجب على كل انسان أن يفعله قالوا فانه يحب
أن يراك و يسمع كلامك قالت أصير اليه لاني أحب أن أرى رجلا من جناح النبي
صلى الله عليه وسلم وعضوا من أعضائه فلما سارت اليه رحب بها وأدنى مجلسها
وقال ممن أنت قالت من كلب بن وبرة قال كيف حالك قالت لم يبق من الدنيا ما يفرح

الا وقد بلغته وانى الآن أعيش بالقناعة وأصون القرابة وأنا أتوقع مفارقة الدنيا صباحا ومساء قال أخبرينى ما الذى أعددت لاولادك عند انصرافهم بعد أخذنا الخبزة قالت أعددت لهم قول العربى

ولقد أبيت على الطوى وأظله * حتى أنال به كريم المأكل

فأعجبه قولها فقال لبعض غلمانه انطلق الى خبائها فاذا أقبل بنوها فجئ بهم فقالت للغلام انطلق فكن بفناء البيت فانهم ثلاثة فاذا رأيتهم تجد أحدهم دائم النظر نحو الارض عليه شعار الوقار فاذا تكلم أفصح واذا طلب أنجح والآخر حديد النظر كثير الحذر اذا وعد فعل وان ظلم قتل والآخر كأنه شعلة نار وكأنه يطلب بثار فذاك الموت المائت والداء الكابت فاذا رأيت هذه الصفة فيهم فقل لهم عنى لا تجلسوا حتى تأتونى فانطلق الغلام فأخبرهم الخبر فما بعد أمده حتى جاؤوا فأدناهم عبد الله وقال انى لم أبعث اليكم والى والدتكم الا لاصلح من أمركم وأصنع ما يجب لكم فقالوا ان هذا لا يكون الا عن مسئلة أو مكافأة فعل جميل تقدم ولم يصدر منا واحدة منهما فان كنت أردت التكرم مبتدئا فمعروفك مشكور وبرك مقبول مبرور فأمر لهم بسبعة آلاف درهم وعشرة من النوق فقالت لهم العجوز ليقل كل واحد منكم بيتا من قوله

فقال الاكبر شهدت عليك بحسن المقال * وصدق الفعال وطيب الخبر

فقال الاوسط تبرعت بالبذل قبل السؤال * فعال كريم عظيم الخطر

فقال الاصغر وحق لمن كان ذا فعله * بأن يسترق رقاب البشر

فقالت العجوز فعمرك الله من ماجد * ووقيت ما عشت شر القدر

ثم ودعوه وانصرفوا قال تميم اليربوعى فالتفت الىّ وقال لى يا تميم وددت لو وجدت مزيدا فى ابتداء المعروف الى هذه المرأة وبنيها وجعل يتأوه من تقصيره عن مراده فى ذلك فقلت له لقد أحسنت وأربحت وقد شهد فعلك بما سبق من قولك فأنت أتم الناس عقلا وأكملهم مروءة ومن كمال عقل ابن عباس انه قيل له ما منع عليا عليه السلام أن يبعثك مع عمرو بن العاص فى التحكيم فقال حاجز القدر ومحنة الابتلاء وقصر المدة أما والله لو كنت مع عمرو لجلست فى مدارج أنفاسه ناقضا ما أبرم ومبرما ما نقض أطير اذا شف وأشف اذا طار ولكن جرى قدر وبقى أسف ومع اليوم غد والآخرة خير لامير المؤمنين * وقيل ان اياس بن معاوية القاضى كان

مطلب حكاية

من

من أكابر عقلاء العالم وكان عقله يهديه الى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتد اليها فكان من جملة الوقائع التي صدرت منه وشهدت له بالعقل الراجح والفكر القادح انه كان في جماعته رجل مشهور بين الناس بانه أمين يستودع لهم فاتفق ان رجلا أراد أن يحج فأودع عند هذا الامين كيسا فيه جملة من الذهب ثم حج فلما عاد بعد مدة جاء الى الامين وطلب كيسه منه فأنكره وجحده فجاء الى القاضي اياس وقص عليه القصة فقال له القاضي فهل أخبرت أحدا غيري فقال لا قال هل علم ذلك الامين انك أتيت الي لتخبرني قال لا قال فهل نازعته بحضرة أحد قال لا قال انصرف واكتم أمرك ثم عد الي بعد غد فانصرف ثم ان القاضي دعا ذلك الرجل المستودع وقال له قد حضر مال كثير وقد رأيت أن أودعك اياه وأتركه عندك فاذهب ورتب موضعا حريزا فمضى ذلك الرجل فحضر صاحب الوديعة فقال له اياس امض الى خصمك واطلب منه وديعتك فان منعك قل له تمضي معي الى القاضي لأعلمه بذلك وأحاكم أنا وأنت فلما جاء دفع اليه كيسه فجاء الى القاضي وأعلمه انه قد رد عليه وديعته وانصرف فجاء ذلك الامين الى القاضي لوعده طامعا في أن يتسلم المال فسبه القاضي سبا كثيرا وأبطل قوله وكانت هذه من جملة ما يدل على عقله وصحة فكره

(خاتمة لهذا الباب)

مشتملة على حكم متنوعة أخرجتها التجربة من ينبوع العقل تفيد ناظرها فضل اعتبار وتكسبه زيادة واستبصار * قيل كان رجل من حكماء الاوائل له عقل ودراية وأدب وتجربة فسمع به ملك أرضه وسلطان اقليمه فاستدعاه اليه وقربه منه وباسطه باقبال عليه ومجاذبته له فقال له الملك ما معناه انك أيها العاقل الحكيم قد خصصت بسمت قويم وعقل بين وأدب واف ومنظر مقبول وتجربة وقفت بها على حقائق الامور فلم رضيت لنفسك بالمقام على التقصير عن حظك بالبعد عنا وقد تفتحت لك أبواب الرغبة فيك والميل اليك والانتفاع بعقلك واجتناء ثمرة معرفتك فقال العاقل الحكيم للملك ما معناه ان كان قصد الملك في مقاله أن يتطلع الى جواب أحتج به لأقيم عذرا في تباعدي عن رتبة القرب من الملك وقنوعي بالدرجة السفلى دون الدرجة العليا فهذا أمر لا يثقل على كامل العقل ولا تجدني كثير نفع في اباية الملك وان كان قصد الملك أن يحرك ساكن العقل ليفيض اللسان من لآلئ الحكمة

ما ينضد منه الملك عقودا يحلى بها جيد أفعاله ويتخذها جنة واقية من طارقة الحوادث فهذا مطلب شريف تسارع النفس الى التلبس به وتنفعل القوى الانسانية له ويشرق نور العقل فيهدى الى سلوك سبيله فقال له الملك مامعناه ان كل واحد منهما غرض مطلوب ومبتغى مقصود فاذكر مبتدئا عذر نفسك ثم أتبعه بجواهر حكمك ونتائج عقلك فقال العاقل مامعناه ان الملك قد أفاض على الناس قربه وأحلني في الذروة العلياء من رتبته ومنحني بسطة في كل مبتغى ومكنة من كل منتهى ولامني على التقاعد عن المبادرة الى هذه المحاب ولامر دلما قاله الملك ولا يتطرق اليه شك مريب غير أني بقنوعي بالبلغة واقتصاري عن دفع الضرورة وتجنبي لمواطن المترفعين واعراضي عن البدار الى الدخول في أبواب الكرامة التي منحها الملك ومنح ارتعاء مرتعها أجدني آمن السرب فارغ السر قليل الحرص لا أقصد أحدا بمكروه ولا أستهدف لاذى مخلوق وليس واحد من أتباع الملك الواجلين أبوابه الا وقد ملكه الحرص واستهواه الهوى واستعبده الطمع حتى اقتاده بزمامه فكل منهم يرمي بطامح نظره الى زيادة مال يستملها ليرضى بها ساخط حرصه ويمد يد أطماعه الى جمرة سحت يتوقعها ليجرها الى قرصه قد استفادوا بكثرة ماخولوه من الملاذ المستجمعة لديهم فقر أنفس لا يحصل معه غنى ولا يفارقه فاقة فهم في فرط احتيالهم في طلب المزيد أبون في دفع من يتوهمون عنده أدنى جنوح الى اقتراب مدارجهم واقتحام مساعيهم متى بدى لهم مرهوب يقطع مأمولا حملهم الجزع على ارتكاب كل مافيه دمار وبوار واذا لاح لهم مرغوب يمنح سؤلا ألجأهم الحرص على اقتناصه الى فعل مايعقبه وبال وعطب وقديما قيل الحرص مورد موارد الهلكة ويحمل على التغرير بالمهجة وينزع لباس السلامة ولقد بلغني مامعناه ان عظيما من أكاسرة الفرس جلس يوم نيروز لدخول الناس عليه بطرف التحف فحضر الموبذان وهو اسم حاكم الحكام ومعه منديل مشدود على شئ فوضعه بين يدى كسرى وحله فاذا فيه فحمة كبيرة فقال ماهذا فقال انني كنت قد خرجت الى مكان النزهة فرأيت بازيا قد تبع دراجة فجاءت الدراجة الى أجمة قد وقعت فيها نار فألقت نفسها في الاجمة فهلكت فدخل البازي من حرصه خلفها فاحترق وأنا أراه فوقفت مفكرا في حاله ومافعل به حرصه ثم أخذته وقد صار فحمة ورأيت انه من أبلغ المواعظ فأحضرته بين يديك لتعلم ان الحرص مقود الى

الهلاك والبوار وحيث اتصف من بباب الملك بهذه الصفات التى أيسرها الحرص والاخلاق التى أهونها الطمع فاذا امتثلت أمر الملك وحللت بالمكان الاثيل والمنزلة السامية من دولته فوّقوا الى سهام العناد وقدحوا لى زناد العداوة ونصبوا فى مدارجى حبائل الغوائل فان تركت الاستعداد لهم ولم أعمل الحيلة فى دفعهم تهدّم ما بنيت وأشرفت على خطة خسف وان حذرت بغيهم ولبست جنن التحفظ من كيدهم أتعبت فكرى وأضعت عمرى وقد لا أنفك عن ظهورهم علىّ وظفرهم بى وقد قيل من رقد حذره عن معانده حلّ بساحة العطب ومن أيقظته الاوجال حرم لذة الدعة وراحة العيشة وأنا امرؤ أحب السلامة وأكره زوال العافية ولو ابتليت بمعاند لم أجد قلبى مكافئا له على بغيه ولا مضاهيا لكيده وقد قيل المرء أمين على نفسه واللبيب من ترك مالا طاقة له به فانه أستر لكنون أمره وأبقى للآمال فيه ورأيت الملك قد استقرّ عنده الاستغناء بمن فى كنفه فاقباله على من طرأ عليه لا ينفك عن ملل واستثقال وذو النفس المهذبة يصونها عن التعرّض لذلك فهذا عذر لا يسوغ للعاقل أن يطوى دونه كشحا ولا يعرض عنه جانبا وأما ما يبتغيه الملك من حكم رأى يقتدى بها وجواهر عقل ينظمها زينة فى أجياد أفعاله فأقول اذا أشكل عليك أمران لا تدرى أيهما أرشد فخالف أقربهما الى هواك فان أكثر ما يكون الخطأ مع الهوى والاقدام على الفعل بعد التأنى فيه أحزم وأحسن من الامساك عنه بعد الاقدام عليه اجتهد كل الاجتهاد أن تكون خبيرا عالما بأمور ولاتك وأحوال عمالك وأفعال نوابك متطلعا الى ذلك فان المسيء منهم والمقصر منهم والمعتدى والخائف من خبرتك وعلمك بأموره قبل أن تصيبه عقوبتك يرتدع وان المحسن والامين يستبشر بعلمك بحاله قبل أن يأتيه معروفك فيدوم على نصحه ويزداد فيه لا تتركنّ حراسة الملك ولا تعرضنّ عن مباشرة جسيم أمره فيعود شأنه صغيرا ولا تشغل نفسك بمباشرة صغير أمر فيصير كبيره ضائعا لا يجمع الملك بين المحسن والمسيء فى منزلة واحدة ويجعلهما عنده سواء فان ذلك يحمل المحسنين على التقصير والمسيئين على الاقدام على زيادة الاساءة لكن يقابل كلا منهما بما يستحقه من اكرام وانتقام فيه تمام الحراسة والسياسة وليكن أبغض رعية الملك اليه أكثرهم كشفا لمعايب الناس عنده فان فى الناس معايب وأحق من سترها وكره كشف ما غاب عنه منها الملك فانما عليه احكام

ماظهر والله تعالى يحكم على مابطن اعلم ان رأيك ووقتك لا يتسع لجميع الامور وجملة الاشياء فاجعله للمهم منها فان ماصرفته من رأيك ووقتك لغير المهم ازراء بالمهم وعليك بحب العلم وأهله العاملين به ورحمة الضعفاء والرفق بهم والنظر في أمور الرعية والاجتهاد في مصالحهم فهم عباد الله الذي استرعاك لهم ويسألك عنهم وقد قال صاحب الشريعة النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته ولا يغفل الملك عن اقامة شرائع الشرع واتباع مايقوله جملة وتفصيلا في تثبيت قواعد العدل وتقريرها على مايصلح به الناس فان ذلك يحيي الحق ويميت الباطل ويكتفي به دليلا عليه ولا بد للملك من خاصة من خدمه وبطانة من أتباعه وجماعة من جنده يجعلهم محل اعتماده ويستطلع بهم ومنهم مستورات الاغراض فليعتبر الملك في مبدأ الامر أخلاقهم وشيمهم وصفاتهم ويزلف اليه من تحلى بحميدها ويقصي من اتصف بذميمها ولا تركنن الى خائن ولا تعتمدن على ثمره ولا تثقن بكذوب ولا تسمعن نصيحة جهول ولا تقبلن قول حسود ولا تأخذن برأي دني ولا تكثرن محادثة مسيء الخلق وليتفقد الملك أحوال حاشيته افتقاد الجهبذ أخلاط النقود فينفي الزيف منها ويختص بخالصها وقد جرى على ألسنة العلماء والحكماء السالفين ألفاظ من الحكم المنتقاة من جواهر الكلام ماهو أنفع لمتأمله والمستعمل له من كنوز الذخائر (منها) من قام من الملوك بالعدل والحق ملك قلوب رعاياه ومن قام بالجور والقهر لم يملك منهم الا التصنع وكانت قلوبهم تطلب من يملكها (ومنها) لينظر الملك الى المتنصح له فان دخل من حيث العدل والصلاح فاقبل نصحه واستشره وان دخل من حيث مضار الناس فاحذره وتحرز منه (ومنها) زمان الجائر من الملوك أقصر من زمان العادل لان الجائر يفسد والعادل يصلح والافساد أسرع من الاصلاح (ومنها) من مدحك بما ليس فيك من الجميل اذا رضي عنك ذمك بما ليس فيك من القبيح اذا سخط منك (ومنها) موت العلماء والعقلاء وان كان عظيما فهو أهون من تقدم السفل من الناس على رقاب الاحرار فلما سمع الملك مقاله في الاعتذار وفهم ماتلاه عليه من الحكم العظيمة المقدار النفيسة الاقدار عرضه على ناقد عقله وثاقب فكره فتلقاه بالقبول والاعتذار وعلم صدق مقصده وصحة معتقده فصدف عن الانكار واتخذ ماأورده من الحكم وقصده من جواهر الكلام نهجا يهتدي به آناء الليل

وأطراف النهار وفى هذا المقدار بلاغ ومقنع فى حصول البغية للمقتدى وظهر لعلو رتبة العقل وفضيلة صاحبه وحيث ظهرت فضيلة العقل نجز المطلوب من اتيان ماتحرّر فى بابه والله سبحانه يأخذ ويعطى به واليه مناط التكليف * فلنردف بابه ببيان ما أوجبه الله سبحانه وتعالى على خلقه وما افترضه على عباده عند حصول صفة العقل لهم من العقيدة التى يجب العمل بها والوقوف عندها والاعمال التى تلزم المحافظة عليها واتباع طريقتها وهى التى كان الصحابة عليهم رضوان الله والسلف الصالح تغمدهم الله برحمته يتقربون الى الله باعتقادها ويحملون على المحافظة عليها والعمل بها أنفسهم بجدها واجتهادها وقد صنف أئمة العلماء كتبا فى بيانها وتعظيم شأنها وتقسيم أركانها وتعليم الامّة انه لابدّ من اعتقادها فى حصول ايمانها فمنهم من بسط المقال فأسهب وأطال الكلام فأطنب وحاول ماقيل فى ذلك فتعب وأتعب ومنهم من اختصر واقتصر حتى كاد لايقوم بما وجب فخضت أوطاب الاقاويل وطويت بساط التطويل واستخرجت زبدة مقاصد ماقيل ولخصت هذه العقيدة وسميتها مفتاح الفلاح فى اعتقاد أهل الصلاح وهى عقيدة أهل السنة والمورثة لمعتقدها ان شاء الله دخول الجنة وهى ان الله واحد لاشريك له فرد لامثل له صمد لاندّ له قديم أزلى دائم أبدى لا أوّل لوجوده ولا آخر لابديته قيوم لايفنيه الابد ولا يغيره الامد بل هو الاوّل والآخر والظاهر والباطن منزه عن الجسمية ليس كمثله شئ ولا يشبهه شئ مستو على العرش كما قال وبالمعنى الذى أراد والسماوات والارض والعرش والكرسى فى قبض قدرته وهو فوق كل شئ فوقية لاتزيده بعدا عن عباده وهو أقرب الى العبد من حبل الوريد وهو على كل شئ شهيد وهو معكم أينما كنتم لايشابه قربه قرب الاجسام منزه عن أن يحدّه زمان مقدس عن أن يحيط به مكان تراه أبصار الابرار فى دار القرار على ماد لت عليه الاخبار والآثار حىّ قادر جبار قاهر لا يعتريه عجز ولا قصور ولا تأخذه سنة ولا نوم له الملك والملكوت والعزة والجبروت خلق الخلق وأعمالهم وقدّر أرزاقهم وآجالهم لاتحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته عالم بجميع المعلومات لايعزب عنه مثقال ذرّة فى الارض ولا فى السماوات يعلم السرّ وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وخفيات السرائر مريد الكائنات مدبر الحادثات لايجرى فى ملكه قليل ولا كثير جليل ولا حقير خير أو شر نفع أو ضر الا بقضائه

عقيدة المؤلف

وقدره وحكمه ومشيئته فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن فهو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمحبته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون ارادته ومشيئته لعجزوا سميع بصير متكلم بكلام قديم لا يشبه كلام خلقه والقرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله والقرآن الكريم مقروء بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وكل ما سواه سبحانه وتعالى فهو حادث أوجده بقدرته فهو الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى حكيم في أفعاله عادل في قضائه منزه عن الظلم وانه لا يتصرف في ملك غيره ليكون تصرفه فيه ظلما متفضل بالايجاد متطول بالانعام لا عن وجوب وحاجة لو صب العذاب على العباد لكان منه عدلا واثابته لعباده على الطاعات متمحض كرما لا يسأل عما يفعل وهم يسألون بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤوا به ثم بعد اعتقاد كلمة التوحيد على ما ذكرناه يجب التلفظ بالشهادة بان (محمدا) صلى الله عليه وسلم رسول الله بعثه برسالته الى الخلائق كافة وجعله خاتم الانبياء ونسخ بشرعته الشرائع وجعله سيد البشر والشفيع في المحشر أوجب على الخلق تصديقه فيما أخبر به من أمور الدنيا والآخرة ولا يصح ايمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت من سؤال منكر ونكير وهما ملكان من ملائكة الله تعالى يسألان العبد في قبره عن التوحيد والرسالة ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك ويؤمن بعذاب القبر وانه حق وان الميزان حق وان الصراط حق وان الحوض حق وان الموت حق وان الحساب حق وان الجنة حق وان النار حق وان الله تعالى يدخل من يشاء الجنة بغير حساب وهم المقربون وانه يخرج عصاة الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ويؤمن بشفاعة الانبياء ثم بشفاعة العلماء ثم بشفاعة الشهداء وان يعتقد فضل الصحابة رضي الله عنهم وترتيبهم وان يحسن الظن بجميع الصحابة على ما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك مؤمنا وموقنا به فهو من أهل الحق والسنة مفارق لعصابة الضلال والبدعة رزقنا الله الثبات على هذه العقيدة وجعلنا من أهلها ووفقنا للدوام الى